مستويات النقد في كتاب تحليل الخطاب السّردي لعبد الحكيم المالكي
قراءات نقديّة تحليليّة

د.ســوف أبو القاسم الرحيبي ــ أستاذ الأدب والنقد الحديث ـ جامعة غريان ـ
soofsoofsoof1976@gmail.com

Levels of Criticism in the Book "Narrative Discourse Analysis" by Abdul Hakim Al-Maliki
Critical Analytical Readings

Abstract:
The theoretical frameworks of contemporary criticism have taken different and varied paths according to cultural references that govern them. The communication convergence between cultures and countries has helped in the process of acculturation, after the idea of cultural siege became worthless, useless and beneficial, but rather became a worn-out idea that no longer represents any civilizational, social or political value. Therefore, this research shed light on the levels of criticism between Europe and the Arab world and the local critical culture represented in all its details by the Libyan researcher and critic Abdul Hakim Al-Maliki. Here, we followed the theoretical aspect that the researcher decided from the beginning, and found in it the effective critical lesson that can fathom the depths of the creative narrative work, and the truth that we cannot ignore, that despite the strengths, beauty and creativity in the book, there are a few weak points that we had to point out according to the scientific methodology and we gave ourselves the right to follow up on those points that we hope will be useful and bold.

الملخـــــــص:

سارتْ الأطـــر النظريّة للنّقد المعاصر مسارات مختلفة ومتنوعة ووفق مرجعيات ثقافيّة تحكمها وتسيطر على توجهها، وقد ساعد التقارب الاتصالي بين الثقافات والدول في عمليّة المثاقفة، بعد أنْ أصبحتْ فكرة الحصار الثقافي ليستْ ذات قيمة وجدوى وفائدة، بل أمستْ فكرة مهترئة لم تعد تمثّل أيّ قيمة حضاريّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة، ولذا كان هذا البحث الذي سلط الضوء على مستويات النقد بين أوروبا والعالم العربي، وبين الثقافة المحليّة النقديّة الّتي يمثلها بكلّ تفاصيلها الباحث والناقد الليبي: عبد الحكيم المالكي، ونحن هنا قررنا تتبع الجانب النظري الذي قرره الباحث منذ البداية، ووجد

فيه الدّرس النّقدي الناجع الّذي بإمكانه سبر أغوار العمل السّردي الخلاق، والحقيقة الّتي لا يمكننا تجاوزها أنّه وبالرغم من مواطن القوة والجمال والابداع في الكتاب إلاّ أنّ هناك من مواطن الضعف القليلة الّتي لا يمكننا تجاوزها، أو غضّ الطرف عنها، وكان لزاماً علينا ووفق المنهجيّة العلميّة الإشارة إليها ومنحنا أنفسنا الحق في متابعة تلك المواطن الّتي نأمل أن تكون مفيدة وجريئة.

الكلمات المفتاحيـــة: مستويات- النقد الحديث- الخطاب النقدي- المالكي.

تقديم:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد

فيتوسم النقد الأدبيّ في ليبيا في بعض نقاده التوهج والابتكار، دون التبعيّة والانحسار في قوقعة الماضي المفعم بالجدولة الفلسفيّة التي تعودها النقاد ورسموا ووسموا لها خطوطاً لا يصح التجاوز فيها ولا نقدها، فكان كتاب تحليل الخطاب السّردي تتويجاً لهذا التألق النفاذ، الّذي طرق به مؤلفه جدران الهدوء والسكينة الّتي حفظتْ معالم النقد القديم في أسوارها وداخل جدرانها.

وعلى تلك الخطوة الّتي نأمل ألا تكون في فراغ، ولا شطحة نقديّة شخصيّة يتباهى بها الناقد ليصير علماً في زمن غاب فيه الأعلام والمنظرون، نرجو مقدمة لخطوات أخرى في تقييم التجربة النقديّة في ليبيا، ونحن هنا نؤكد على أمرين اثنين مهمين لا يمكننا تجاوزهما، الأول: روح البحث العلمي الذي يتجرد من المجاملة والتحامل، الثاني: ترك النّص النّقدي يتحدث بنفسه دون تأويل كما يفعل بعض الباحثين للأسف، وبذا نكون قد أخذنا بلباب الفكر النقدي الهادف الذي يبين حقيقة التجربة ومدى تحقيقها لأهدافها التي يتطّلع إليها النّقاد والباحثون.

المنهـــج:

المنهج مهم في هكذا بحوث، ووفق طروحات ديكارت، فإنّ الاستقراء والاستدلال سيجيبان على كل تساؤل مطروح.

الدراسات السابقة:

حتى كتابة هذا البحث لم أجد دراسة علميّة منشورة أو غير منشورة، فيما عدا بعض المقالات الصحفيّة التي تنشرها بعض المواقع الإلكترونيّة، منها ما نشره موقع العربي الجديد تحت عنوان: عبد الحكيم المالكي: في أثر السرد الليبي، بتاريخ 19- مايو – 2015م، وهو مقال لا يعدو عن كونه إشارة لما كتبه المالكي ليس إلاّ.

تحليل:

نخصصه للبحث عن كلّ ما هو متعلق بالمستويات النقديّة في الكتاب، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ التحليل يقوم على المنهجيّة العلميّة الّتي تقتضي ضرورة التجرد من الأهواء.

العتبات:

تمثّل العتبات أو ما يسمى بالمناصة "القوة التأكيديّة، كأنْ ينقل معلومة مثل اسم المؤلف، تاريخ النشر، أو غاية، أو شرحاً وظيفة التمهيد، أو إقرار مثل: انتحال لاسم أو عنوان، أو التزاماً لتحديد الجنس الأدبي مثل السيرة الذاتيّة الّتي تفرض عقدًا من المصداقيّة. وكأنّها تقوم بعملية تنظيم العلاقة بين النّص والقارئ. بوصفها خطاباً غير تابع بصورة أساسيّة، ومساعداً مخصصاً لخدمة شيء آخر يشكّل سبب وجوده الّذي هو النّص، وتخصص هذه التبعية وظيفته بالتحديد"(مونتالبيتي، ص: 111)، الكتاب كما هو في عنوانه (تحليل الخطاب السّردي تطبيقاً قصة الميثاق لعبد الغزال أنموذجاً) لنلحظ منذ البداية في عنوان الكتاب التحديد الدقيق للبحث، وهو أمر مهم، يستوجب التوقف عنده، فالعنوان في حد ذاته يتأطر وفق مرتكزين اثنين، الأول: مسألة الخطاب، والثانية السرد، ودون التفريق والتوضيح لهذين المصطلحين، فلن يكون العنوان مفيداً ولا كافياً، وبالرغم من أنّ المؤلف خصصه بالسّردي وقد أوضح الدلالة العلميّة لمصطلح الخطاب في متن الكتاب، ومن الواضح أيضاً أنه ركّز في مفهوم جيرار جنيت عند حديثه عن الخطاب، ومع التعدد في أشكال الخطاب السياسي، والديني، والخطاب النفسي(حجازي، ص:11) يبقى الخطاب السردي هو الدلالة الوحيدة لهذا العنوان الذي خصصه المالكي لدراسة قصة الميثاق لعبد الله الغزال.

لا شكّ لدينا أنّ النّاقد يعي ويفهم هذا كلّه، ولكنّه لم يكلف نفسه عناء التوضيح والتفسير والتحديد، وهذا في حد ذاته إشكاليّة، فالرواية أيّ رواية هي خطاب اجتماعي وسياسي ونفسي، وحتّى التحديد بالسّردي لا يفيد فحذفها أولى، فالمسألة الروائيّة هي سرديّة دون شك، فـ" السرديّة (مع وجود ياء النسب وتاء العلميّة) تبحث في مكونات البنية السرديّة للخطاب من راوٍ ومروي ومروى له"(عميش، ص: 13) الذي تشكّله لغة الخطاب، التي نظر لها جيرار جنيت، ومن بعده سعيد يقطين، فلو كان العنوان بنية الخطاب في رواية قصة الميثاق؛ لكان أشمل وأوجز.

الغـــــــلاف:

يمثّل الغلاف الواجهة الأول للقاري وهو يشي بقيمة نقديّة مهمة، فلا تعد أغلفة

الكتب مجرد إشهارات تضعها دور النشر ووفق ما هو متاح وموجود، بل أصبحت تحمل سمات الكتاب ورمزيته التي يقصدها الكاتب التي تعبر عن رؤيته وفكره ومشروعه.

والغلاف بالإضافة إلى عنوان الكتاب كما هو مشاهد ومؤلفه، فإنّه يلمح إلى عمليّة التثاقف بين الشعوب والتلاقح بين الثقافات، فالحمام هو دلالة على السلام أولاً، ثم هو دلالة على الهجرة من الشمال إلى الجنوب، ومن الجنوب إلى الشمال، فهجرة الأفكار والعلوم والمعارف لم تعد محصورة في بلدان محددة، بل تعدتْ لتصبح أمراً للكلّ بلاد الأرض دون حدود أو قيود، وهذا ما يحمله الكتاب، فقد تمازجت فيه الثقافات الأوروبية (جنيت) والعربيّة (يقطين) والليبيّة (المالكي) لتقرأ عملاً سرديّاً ليبيّاً خالصاً، وتؤطر له الأطر المعرفيّة مرتقيةً به إلى العالميّة.

لقد أفلح مصمم غلاف الكتاب إلى حدٍ كبيرٍ في تجسيد الفكر العالمي الخلاق الّذي يخدم العلم والمعرفة دون النظر إلى الجنس والثقافة، ووفق خلفيّة معرفيّة تجمع بين الشرق والغرب في تلاقح ثقافي مهيب، مبتدعاً فيه عن الفوقيّة أو عن التواضع المقيت الذي لا يصلح هاهنا ولا يفيد، فالتعامل وفق المعرفة يتطلب الثقة بالأعمال المحليّة وقدرتها على تبني الأفكار والثقافات دون وجود عنصر الشعور بالنقص أمام الأعمال العالميّة السرديّة وغيرها.

المقدمـــــة:

فيها يقول المالكي: "هذا كتاب نقد تطبيقي أحاول أن أشرح فيه كيف أن نتحول من اشتغالات الخطاب النظريّة إلى تطبيق تلك الاشتغالات واقعيّاً على النّص السّردي، عبر المراحل التالية التي أفهم العملية النقديّة بموجبها:

أولاً- توضيح بسيط لآليات عمل سرد الخطاب كما عرقتها سرديات جنيت وسعيد يقطين.

ثانياً- إدخال مفاصل النظرية السابقة في النّص مادة البحث.

ثالثاً- استنطاق نتائج التحليل ومحاولة الوصول؛ لفهم لماذا تم التخطيب لهذه القصة بهذا الشكل (المالكي، ص: 3).

منذ البداية يختار المالكي لنفسه منهجاً محدداً لتحليل الخطاب السّردي وهو منهج جيرار جنيت ومنهج سعيد يقطين، ويبدو لي أنّ الأول في كتابه خطاب الحكاية، والثاني في كتب مختلفة، فيقطين لم يقدم آراءه في كتاب واحد، بل وفق مشروع نقدي

في سلسلة من الكتب استفاد فيها من آراء المنظرين الفرنسيين(نجاة، مجلة مقاليد)، وهو أمر يحتاج إلى إعادة نظر، فيقطين نفسه لم يجد الأرضيّة الصلبة التي يقف عليها، بل وجد الفراغ الذي ينظر فيه كما يشاء ويؤسس فيما يشاء، وهو أمر يحسب للمالكي كونه حدد المنطلق المنهجي الذي سيقوم عليه الكتاب، فعادة ما ينفي الناقد منطلقاته لأسباب متنوعة فـ" يلجأ إلى طمس مرجعياته، بواسطة تلقيح أكثر من نظرية وأكثر من مفهوم فتتعقد عملية التتبع، وتستحيل إلى ضرب من الانتقال بين المرجعيات على غير هدى، وتتضاعف الصعوبة حين يعمد النقد العربي إلى الجمع بين نظريتين أو أكثر، دون أن تعقد بينهما صلة في محاضنها الأصلية. فلا يستبعد والحال هكذا أن يسير النقد العربي بين اتجاهين، قام الثاني على نفي الأول، أو عمد إلى تجاوزه"(مصطفى، ص: 38.) وعلى أيّ حال، فالمنهج الذي يتعبه المالكي هو من اختاره لنفسه لتقييم هذه التجربة السّردية المهمة، ولسنا بصدد مناقشة هذا المنهج أو تتبع عواره، ولكننا نحقق في تجربة نقديّة ليبيّة نرى أنّها تستأهل البحث والدراسة.

الحقيقة المقدمة جاءت موجزة ومختصرة حد الابتسار، وكان بوسع الناقد والباحث أن يقدّم أكثر من هذا ولكنّه اكتفى بما قال في مقدمته دون الحاجة لتفسير المصطلحات التي قد يختلف حول معناها الدراسون والباحثون.

فصـــول الكتاب:

جاء الكتاب في أربعة فصول ومقدمة، ويظل الجانب الإجرائي-فيما يبدو – المهيمن والمسيطر على البحث، وفي بحثنا هذا رأينا التركيز في الفصل الأول وحده، كون باقي الفصول تمثل مسألة تحليليّة تفسيرية لما تم قوله في الفصل الأول، وهو ما لم يكن في فكرنا ساعة قررنا البحث في المستوى النقدي للمالكي في كتابه هذا، فالأمر يتعلق بالمستوى النقدي، وليس لتحليل العمل الروائي الذي لا علاقة لهذا البحث به، وحتى يكون البحث مفيداً وشاملاً، ومبتعدين عن شر التلفيق الذي يضر بالعمل البحثي أكثر من نفعه، فقد قررنا التركيز في الفصل الأول الذي يبين مفهوم الكاتب للنقد ومصطلحاته الغربية والعربية.

ويضع المالكي خطة بحثه في الفصل التنظيري التي لتجسد خطوات سماها مراحل وهي:

أ-المنطلق النظري:

تحدّث فيه عن المنهج الذي سيتخذه وسيلة في البحث عن المستوى السّردي، يقول: "وفي حالتنا هذه المنطق النظري هو اشتغال الزمن كما حددته سرديات

جنيت"(المالكي، ص:8) وهو أمر لم يقدّم له المالكي تفسيراً واضحاً، فالسّرديات عند جنيت هي فغل جديد بالرواية، لم يسبقه إليه أحد، ويرتكز في عناصر محددة، هي: (المؤلف والسارد والشخصية) ويبدأ بمسألة الشخصية ويطرح هذه الأسئلة:

فهل علينا دائماً أن نفرق بين المؤلف والسارد؟ ماذا يحدث حين يكون السارد هو نفسه الشخصية القصة التي يحكيها؟ ثم ينتقل إلى مسألة المستوى، ليطرح هذه الأسئلة كيف يمكننا أن نحدد العلاقات والحدود الموجودة بين خارج وداخل العوالم المحكية؟ هي إذاً مسألة زمنية عندما نحسب المسافة ما بين زمن الفعل السّردي وزمن حدوث القصة(https://oumssadhayet.wordpress.com/2022/05/09/)

غير أنّ المالكي –مع يقيننا أنّه يعي هذا كلّه- لم يقدم تفسيراً محدداً لهذه المستويات أو المصطلحات، وترك للقارئ حرية البحث عنها وتفسيرها مما يزيد في غموض الكتاب.

ب- وضع مفردات الأداة الإجرائيّة داخل النّص:

وهو أمر يتضمن وفق رؤية المالكي تحديد بداية القصة أو الرواية أو كما يطلق عليها مرحلة الصفر في العمل السّردي، وهي قضية مهمة تحدث عنّها (رولان بارت) موسعاً في كتابه (الكتابة في الدرجة الصفر) حيث يتناول معالم السلطة الاجتماعية والسياسية واللغوية المسيرة للكاتب والرواية بطبيعة الحال، غير أنّ المالكي لم يقم بتحديد هذا المفهوم، بل سار فيه بطريقة كلاسيكية واضحة تحدث فيه عن بداية القصة في صفحتها الأولى، يقول: " وفي حالتنا هذه تبدأ القصة بلقاء المجاهدين مع الأحباش ليلاً"(المالكي، ص:9) وهو مفهوم قريب جداً من الحركة السّرديّة العاديّة غير المجهدة في البحث عن النقطة الصفر في الكتابة أو في العمل السّردي، وهي معلات تبدو راسخة وعادية ولا تحتاج إلى كثير تفكير وجهد، فالعمل السردي من منطلقه التاريخي يجسد الصراع، الصراع بكلّ تفاصيله وعبر أزمنته المختلفة التي تُسيّر العمل السّردي وتقوده من منطقة صفريّة تشكّل فيه النّص إلى فضاء من الصراعات الكبيرة والصغيرة غير المتناهية والمتصاعدة بصورة العنف بكلّ تفاصيله، لتشكّل تلك المنطقة الغامضة والصفرية منطلق العمل السّردي، ومع أنّ اللقاء بين المجاهد والغازي للبلاد قد يبدو عملاً عاديّاً ومتوقعاً من الليبيين؛ غير أنّه في كثافته يشكّل مرتكز الصراع بين الخير والشر أو بين الحق والباطل؛ ليتحكم في مسار العمل السّردي حتى نهايته.

ونحن هنا لا ننتقص من جهود الناقد ولا نشكك في قدراته-فحاشانا وحاشاه- ولكنّها

تبقى مسألة تقييم الجهد النقدي مهمة وخطيرة، وهي تنير دروب الباحثين والدارسين على مرّ الأزمان.

يتحدث المالكي في ذات النقطة عن الاسترجاع والاستباق، دون تفسير أو توضيح لهاتين المرحلتين، فالمسألة الاسترجاعية كما جاءت في طروحات جنيت التي سبق وأن أشار إليها المالكي في مقدمة الكتاب تعني: تذكر حدث ما واسترجاعه وجعله ضمن الإطار السردي للرواية، أو كما يطلق عليه مسألة التذكر اللاحقة، أو العودة إلى الماضي، أو إلى حدث تجاوزه زمن القصة، ليتم إعادته لحاجة سردية تفرض ذاتها على السارد أو الكاتب.

أمّا مسألة الاستباق فهي طريقة عكسيّة للاسترجاع يقوم السارد برواية حدث لم يأت وقته بعد، أو أنّه يحن أوانه، غير أنّ الضرورة السّردية تستوجب الآتيان به، يقول جنيت: "حركة سرديّة تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يذكر مقدماً"(جينيت، ص:51) وعلى أيّ حال كلّ ذلك يدخل في إطار الزمن زمن الرواية الذين فصل فيه يقطين القول في كتبه المختلفة التي كانت مشروعاً نقدياً بارزاً في الساحة العربية.

وفي ذات السياق يتحدث المالكي عن علاقات السرعة بين زمن الحكاية تلك التي تتعلق بعناصر محددة هي (التخليص والوصف والحذف والمشهد) دون أن يفصل القول في هذه المصطلحات المهمة التي دون شك هي العناصر الفاعلة في زمن الرواية، فهذه التقنيات تشكّل اليد الفاعلة في التلاعب بالزمن دون الحاجة إلى غيرها، غير أن المالكي لم يقم بالتفسير والشرح كعادته طبعاً.

ج- استنطاق النص والبحث:

وهو الاشتغال على سبق تدوينه وأثره في الخطاب والمتلقي، ويبدو لي أنّه يقصد النّص السردي، ومع أنّ لفظة استنطاق هي لفظة فلسفيّة محضة، غير أنّ استخدامها هاهنا محمود للناقد، فالنّص لا يقدم نفسه مباشرة، بل يحتاج للقارئ المبدع الذي يستطيع فهمه وسبر أغواره، وهو أمر لا يمكن أن يحدث دون الحاجة لفك شيفرات النّص، وتفسير غموضه به وبسواه، ليحصل التأثير في المتلقي المتوقع ولتحدث فاعلية الخطاب وتأثيرها.

وبعد الانتهاء من مراحل العملية النقديّة كما وضعها المالكي يدلف مباشرة إلى النقطة الثانية وتتخلص في عدة عناصر هي:

أ-مدخل تعريفـــي لمفهوم الخطاب:

يعرّفه المالكي على أنّه: " النّص المكتوب منظوراً إليه داخليّاً من خلال العلاقة

بين الراوي والمروي له، وتمثّل عملية التخطيب طريقة التشكيل النهائي للحكاية الأولى عبر تغيير زمن الحكاية الأول الأصلي المتسلسل خطياً، وتتم متابعة الخطاب بين الراوي والمروي له عبر:

فأمّا الراوي يقوم بوظائف عدة أهما الوظيفة الوصفية التي تتلخص في قيامه بتقديم "مشاهدة وصفية للإحداث، والطبيعة، والأماكن، والأشخاص، دون أن يُعلِم عن حضوره، بل إنّه يظل متخفيّاً، وكأن المتلقي يراقب مشهداً حقيقيّاً لا وجود للراوي فيه". (عزّام، ص: 87 88)وهناك الوظيفة التأصيليّة الّتي تقوم على تأصيل الثقافة المحليّة والتأريخ لها؛ ليجعلها بؤرة الصراع بربطها بمآثر بالانتصار على العدو. (عزّام، ص: 88) وهناك الوظيفة التوثيقية: التي تأسس على توثيق بعض المرويات بربطها بمصادرها التاريخية، زيادة في اقناع المروي له أنّه يتلقى تاريخيّاً موثقاً (عزّام، ص: 88)، وبالرغم من تفاوت المصطلحات في هذا الجانب إلاّ أنّ المالكي يختار المصطلح الكلاسيكي القديم (الراوي) دون سواه، فالنقد الحديث استخدم مصطلح السارد، وهو برأينا أقرب لواقعية الدّرس السردي الحديث.

وأمّا الخطاب فهو يشكّل هنا النقطة المركزيّة في العمل الابداعي بصفة عامة، والعمل السّردي على وجه الخصوص، فقد عرّفه المالكي كما سبق بأنّه النص المكتوب منظوراً إليه داخليّاً من خلال العلاقة بين الراوي والمروي له، وهو تعريف يبدو فيه التكثيف والايجاز والاختصار ما يجعلنا نبحث فيه؛ حتى نصل إلى حقيقته التي أرادها الباحث، فالخطاب لفظة عامة تشمل كلّ خطاب موجه ومقصود ويرجى له التأثير في المتلقي المتوقع، فهناك الخطاب الأدبي الذين يقوم على التأثير العاطفي ويخاطب المشاعر ويثيرها، وهناك الخطاب الديني، والسياسي، ولكلّ خطاب طرقه وأدواته التي يسعى المخاطب لتحقيقها.

إنّ الخطاب الروائي له خصائص محددة تميزه عن غيره، وهذا ما قال به سعيد يقطين الّذي جعله المالكي مرجعيّة منهجيّة له، فيقطين يعرف الخطاب على أنّه: "الطريقة التي تقدم بها المادة الحكائية في الرواية"(عزّام، ص: 88) وهو ليس الموضوع أو ليس المادة الحكائية، بل هو المظهر الخارجي للغة التي تبناها الشكلانيون الروس وأكدوا عليها.

وعلى هذا، فالمالكي يختلف في منظوره للخطاب عن يقطين، فبينما يذهب الأول إلى العموم في التعريف للنّص السردي، بينما يذهب يقطين إلى الطريقة التي من خلالها يمارس الراوي دوره في السرد بطريقة تجعل من اللغة منطلقاً له.

ب- تمظهرات الخطاب السردي:

يقصد بها المظاهر أو الوسائل التي يتشكل بها الخطاب السّردي، ومع أننّا لا نرفض التركيبات اللغوية الجديدة التي نجدها في كتابات الكتّاب المغاربة، غير أننّا نحبذ استخدام التراكيب المعروفة والمتداولة، فالغاية كما هو معروف ليس التفنن في اللغة وتأطيرها، بل في إيصال الفكرة المهمة في العمل النقدي مهما كان زمانه، ويبدو أنّ المالكي قد ساير يقطين في هذا التوجه الجديد الّذي يجعل من الاستخدامات الجديدة للغة رؤى بحثيّة تميز النقاد عمن سواهم في القديم والحديث، ولن نبيح لأنفسنا الخوض في هذه النقطة أكثر من ذلك، فالمساحة البحثيّة قد لا تكفي للمزيد من التوسع.

ويظهر الخطاب السردي أو يتمظهر في عدة محاور أهمها:

أولاً-محور الزمن:

القصة وكما يقول المالكي تحدث في أزمنة غير خطيّة، وقد تحدث الأحداث في نفس الوقت وهو ما يستحيل نقله روائيّاً، وهو ما يجعل تغيير الزمن داخل الخطاب عمليّة فنيّة تحقق من خلالها أبعاد خفيّة، وهو أمر تحدث فيه جنيت من خلال:

-إعادة ترتيب الأحداث بحيث تكون مرتبة بشكل خطي.

-تحديد النقطة الأولى الصفريّة لانطلاق النّص أو بدايته. (المالكي، ص:10**)**

فالزمن وهو الفراغ أو المسافة بين الحدث الواقعي (الاجتماعي- التاريخي- السياسي) وبين الحدث الروائي، ذلك الذي يسهل فيه معاودة الزمن والتحكم فيه ونقله وتغييره وتقديمه وتأخيره دون قيد أو شرط، والتحول والانتقال لشخصه، وهو مسافة محددة بمدة من الزمن، وبأحداث جرتْ ليصبح السّردي بمثابة السيرة الذاتية أو المذكرات الإعترافية التوبيوغرافية. (لحمداني، ص: 45)

ثانياً-المدة:

يقسمها المالكي إلى قسمين الأول: **السرعة:** وهي العلاقة بين المقطع الزمني من حيث هو من حيث مساحة نصيّة بالأسطر، وبين زمن الحكاية الأولى، الثاني: **الايقاع** وهو يتجسد بين السرد والقصة، فـ "هو الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات، بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بالقصة"(لحمداني، ص: 45)، والذي نراه هنا أنّ المالكي آثر

بكلّ حيادية التفصيل في موضوع المدة، كونها تشكّل نقطة مركزيّة ومهمة في العمل السّردي، والاشتغال عليه بكلّ وسائل الاشتغال التي اتبعها يقطين ومن قبله جنيت، فالمدة كما يراها المالكي وسيلة مهمة من وسائل البناء السّردي، فالعمل بها يثبت مدى قدرة الرواية أو القصة في استنزاف حقيقة الزمن الواقعي ونقله إلى زمن ورقي إن صح التعبير، فيبدو العمل السّردي وبالرغم من إعادة تشكيله بالوسائل السّردية تقديماً وتأخيراً وخاصة في التلاعب بخاصية الزمن التي لا يجب أن يتم التحقق منها ومن صدقها في النص السردي، لسبب سهل وهو أنّ العمل السردي في الأساس عمل خيالي ينسجه الخيال دون أن يغادر الواقع أو يهجره، بل يستنفد من زمن الواقع وزمن التاريخ كلّ عناصره؛ ليشكّل بها العمل السّردي الخلاق، فالسرعة في النّص الروائي تتشكل عبر اللغة والحكاية، وما دامت اللغة لعبة سهلة وممكنة بيد الروائي، فبإمكانه بها نقل الزمن والتغيير فيه وتقصيره وتطويله بالطريقة التي يجدها مفيدة للعمل، وأمّا الايقاع فهو يتداخل مع الزمن ليبرز سرعة الحدث أو بطئه، وبالطريقة التي يجسدها النّص السّردي الفاعل والمؤثر.

لقد أدرك المالكي في هذه النقطة على وجه الخصوص الأهميّة المحوريّة لاشتغال الزمن، فقد أحاط بالفكرة وفصّل فيها حتى أضحتْ قريبة وجديدة، قريبة من أذهان المتلقين للنّص النقدي المالكي، وجديدة في كونها تبنت رؤى جيرار جنيت، الذي يعد فكره نقطة تحول حقيقية في العمل السردي المعاصر.

ويتجسد الايقاع في محاور أهمها:

-التلخيص:

الذي –وكما يرى المالكي- تخليص فترة زمنية طويلة في جمل قصيرة، بحيث يختصر الزمن والأحداث دون الحاجة لتفاصيل ذلك الزمن، وهو أمر يقوم في أساسه على الحبكة اللغويّة التي يصنعها الكاتب، وعن طريق اللغة نفسها.

-الوقفة الوصفية:

التي من النادر حدوثها في العمل السردي ولكنّها تبقى مهمة لاختصار الزمن، فالعادة أن تنطلق الرواية دون توقف أو تراجع، غير أنّ الوصف يوجز بعض الأحداث التي لا يمكن تفصيلها أو البحث في قيمتها وأهميتها في العمل السّردي، ومع أنّ العمليّة الوصفيّة هي في الأساس عمل شعري خالص، غير أنّ التماهي بين الأجناس الأدبيّة جعل فكرة التخصيص لم يعد لها مكاناً مؤثراً في النقد المعاصر.

ويتحدث بعد ذلك المالكي عن وسيلة مهمة في العمل السردي وهو الحذف، إذ يقوم الراوي بحذف أحداث لا تأثير لها في صدقيّة الرواية، وتأثيرها في المتلقي أو المروي له كما يقول، وهو أمر مهم جداً في النّص السّردي، فالعمل الروائي ليس وثيقة تاريخيّة ولا يمكن النظر له على هذا الأساس مطلقاً، ولا الحكم عليه بالتزوير وما شابه ذلك، فالنظر إليه على أنّه وثيقة تاريخية يحمل من السذاجة والقصور الفكري الشيء الكثير، فالحق كلّ الحق للكاتب في الحذف دون المساس بحقائق جوهرية، ووقائع مفصلية، ومسلمات عقلية، أمّا المشهد: فالمالكي يرى هنا بتساوي زمن الخطاب وزمن القصة، أي زمن الأحداث، وزمن الخطاب وهو تقسيم مرجعه الشكلانيون الروس(كريم، ص: 269) فالزمن في القصة غير الزمن في الخطاب، فالأول سابق بطبيعة الحال عن الثاني، والأحداث فيه غير مرتبة ومقسمة، تنطلق بصورتها العشوائية الواقعية دون توقف، ولكنّها في زمن الخطاب تتغير بترتيبها وباستخدام تقنيات السرد التي فصل فيها المالكي القول، أمّا التواتر أو التتابع في الزمن فهو تقنية مهمة ومفصليّة لا يمكن للكاتب تجاوزها أو الحط من قيمتها متى طلب عملاً روائياً ناجحاً ومقبولاً عند الخاصة والعامة.

ثالثاً- الصيغ السرديّة:

يُقصد بها صيغ الخطاب التي يقسمها يقطين وينقلها عنه المالكي إلى عدة أقسام، وهي: صيغ الخطاب المعروض، وصيغ الخطاب غير المباشر وصيغ الخطاب المباشر، وهي كلّها تخدم البنيّة السرديّة وبحسب حاجة السرد، الإشكاليّة هنا أنّ المالكي ينقل عن يقطين دون أن يكون له حجية القبول أو الرفض أو حتى التفسير، فـ" سعيد يقطين- في كتابه تحليل الخطاب الروائي يضع القارئ دائماً في صيغة المتهم، وهي صيغة فضفاضة لسببين، أولهما: إنّ الرواية مادة إبداعية جديدة حتى على الصعيد العالمي، يعني أنّ الواقع الذي يعيشه الفرد، هو أكبر من الواقع الذي يعيشه الفرد ذاته. أما السبب الثاني: فهناك تصورات معرفيّة نقديّة وجدتْ بل جاءت لتعطي صياغات تحليلية، تمكّن المتلقي، من فهم هذا النوع" (كريم، ص: 269) ويبدو لي أنّ الأمر ليس من الأهمية بمكان، فمدام الرجل قد ألزم نفسه منذ البداية باتباع منهج يقطين، فلا حجة لنا عليه هاهنا.

رابعاً-التبئير:

هو حصر حقل الرؤية والمعلومات عند الراوي، كون "السرد يجري فيه من خلال بؤرة تحدد إطار الرؤية وتحصره. والتبئير سمة أساسيّة من سمات المنظور

السردي"(معجم مصطلحات الرواية ص: 40). والحقيقة أنّ هذا المصطلح وبالرغم من وجود مقاربات كثيرة له أطلقها عدد غير قليل من النقاد من بين الكثير من مقولات الحكي التي يعج بها ميدان السّرديات البنيويّة التي أسالت الكثير من حبر المنظرين والنقاد، والتي تعددتْ دلالاتها واختلفتْ أبعادها حسب تصور كلّ باحثٍ ونظريته التي ينطلق منها، مقولة التبئير، أو الرؤية السّرديّة أو وجهة النظر، أو زاوية الرؤية، أو الجهة أو المنظور، وإن كان مصطلح التبئير هو المفضل؛ لأنّه مصطلح تقني يقصي كلّ الدلالات النفسيّة والأيديولوجيّة التي قد توحي بها المصطلحات الأخرى. فمفاهيم هذه المصطلحات تجد أصلها من وجهة النظر الشكليّة عند الكاتب الأمريكي (وأين كلود بوط) الذي عبّر عنّها بوجهة النظر، أو زاوية الرؤية في مقاله الشهير (المسافة ووجهة النظر) الذي نشر سنة 1961 باللغة الإنجليزية، ثم مترجماً إلى الفرنسيّة سنة 1970 في مجلة (الشّعريّة) حيث عبّر عن ذلك بقوله: إنّنا متفقون جميعاً على أنّ زاوية الرؤية بمعنى من المعاني مسألة تقنيّة ووسيلة من الوسائل لبلوغ غايات طموحة(https://www.oudnad.net/spip.php?rubrique111).

ويعود المالكي مرة أخرى إلى ما قاله سعيد يقطين في تقسيم التبئير إلى: تبئير داخلي، وتبئير خارجي، وهو أمر يعكس زاوية الرؤية للراوي، في الاقتراب والابتعاد، فحتى جنيت يذهب إلى وجود التبئير الصفر أو ألا تبئير، وهي نقطة معقدة تصل بالقاري إلى حد الدخول والتشكيل للنّص السّردي، فالداخلي وبحسب فهم المالكي، هو وجود مسافة قريبة جداً للراوي من الشخصيات المؤلفة للنّص، وأمّا الخارجي فهو وجود مسافة بعيدة نوعاً ما من الشخصيات، وأمّا الصفري برأي جنيت طبعاً إمحاء تلك المسافة وعندها يصبح الراوي مشاركاً في بناء النص السردي دون شك، هذه الأنواع مع أهميتها تبقى أداة في يد الكاتب يستخدم منها ما يراه مناسباً لعمله السردي، بمعنى هي لا تفرض نفسها، بل يشكلها الكاتب بالطريقة التي يراها مناسبة.

غير أنّنا هنا نرى المالكي يتبع يقطين في وجهات نظره دون أن يقدم لنا رأيه في هذا الإطار المعرفي، فالطرح النقدي ها هنا متماهياً مع طرح يقطين الذي هو دون شك سبقه إليه جنيت.

ينهي المالكي هذا الجانب التنظيري بعنوان فيه من الغرابة ما يجعلنا نتوقف عنده وهو: إضافتي في جانب دراسة الرؤية، يقول: "من جانبي أضفت إلى التحليل شيئاً بسيطاً يمكن عن طريقه تحديد بعض المقاطع السردية التي تعبر بها الألفاظ بشكل غير مباشر عن فكرة مختلفة أو تضعنا في شكل غير مباشر في وعي الشخصية"(المالكي، ص:

11) وهو أمر كان على المالكي وضعه ضمن الإطار العام للبحث، دون تجشم العناء وتمييزه، فلا نرى لذلك حاجة، فهو من طبيعة النّص أي نص، فلا ندري ما هي الدواعي لهذا العنوان؟

تركيب:

1-يعد كتاب الخطاب السردي من الكتب النقدية المميزة التي ارتقت بالذائقة النقدية لدى الباحثين والدارسين في ليبيا.

2-بالرغم من المستوى النقدي البناء للناقد المالكي؛ إلا أنه لم يبح لنفسه خطوة اقتحام الجديد وإبرازه، وظل يمارس عملية التتبع دون أن تكون له وقفة خاصة أو طرح جديد.

3-ألزم المالكي نفسه بالمنهج الذي أقره جنيت ومن بعده يقطين، وهو ما يجعل المستوى النقدي يسير وفق خط واحد ومحدد.

4-بالرغم من أنه ختم الجانب النظري بشيء من الخروج عن بوتقة جنيت ويقطين إلا أن ذلك الخروج لا يعدو عن كونه قفزة في الفراغ.

5-لغة الكتاب وبالرغم من وضوحها ومباشرتها، إلا أنها تفتقد لسمة الجمالية التي نجدها في غير كتاب، وهو ما يجعلنا نعتقد أن هذا الكتاب قد ألف على هيئة محاضرات.

6-يبقى للمالكي سمة السبق في الولوج إلى عالم النقد المعاصر، وبإمكانه الوصول وتشكيل مدرسة نقدية ليبية، متى صح العزم.

المصادر:

- المالكي، عبد الحكيم، تحليل الخطاب السّردي تطبيقاً قصة الميثاق لعبد الغزال أنموذجاً،
- جنيت، جيرار، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، المشروع القومي للترجمة. الطبعة الثانية، 1997م.
- حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 1993.
- زيتوني، لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي- إنجليزي- فرنسي) مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2002م
- عزام، محمد، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005م.
- عميش، عبد القادر، شعرية الخطاب السردي، سردية الخبر. دار الأمل للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012م.
- كريم، أحمد رحيم، المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بابل، 2003م.
- لحمداني، حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، 2000م
- مصطفى، منصور، سرديات جيرار جنيت في الأدب العربي الحديث، دار رؤية للنشر والتوزيع، 2015م.
- نجاة، حسين، إشكالية المصطلح اللساني وأزمة الدّقة المصطلحية في المعاجم العربية، مجلة مقاليد، جامعة حسيبة بن بوعلي، الجزائر.
- يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي. الزمن السرد التبئير، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997م
- يوسف، آمنة، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، دار الحوار، سوريا، ط1، 1997م.
-بو لعسل، السعيد، التبئير مصطلح ومفهوم في النقد السردي.(Focalisation) مجلة عود الند، الجزائر https://www.oudnad.net/spip.php?rubrique111
-مونتالبيتي، كرستين، جيرار جينيت – نحو شعرية منفتحة، ترجمة غسان السيد ووائل بركات، الجمعية التعاونية للطباعة، توزيع دار الرحاب، الطبعة: الأولى، 2001م.
1https://www.saidyaktine.net/?p=150-
/https://oumssadhayet.wordpress.com/2022/05/09

الملاحـــــق

ملحق التعريف بالناقد:

عبد الحكيم المالكي، من مواليد مدينة مصراتة العام 1966م، حاصل على بكالوريوس هندسة ميكانيكية، جامعة النجم الساطع التقنية، 1987م، ماجستير إدارة مشروعات هندسية سنة 2015.م من الأكاديمية الليبية للدراسات، مصراتة، حالياً عضو هيئة تدريس ورئيس لجنة الجودة بكلية العلوم التقنية – مصراتة. مختص في مجال السرديات، عضو مؤسس ورئيس المختبر النقدي بمصراتة، صدر له العديد من الكتب أبرزها: السرديات والقصة الليبية القصيرة (نحو مدخل للتقنيات والأنواع) عن مجلس الثقافة العام، 2006. آفاق جديدة في الرواية العربية، صادر عن دائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة، 2006. جماليات الرواية الليبية، عن جامعة مصراتة: 2008. استنطاق النص الروائي، عن دائرة الثقافة والإعلام بحكومة الشارقة، 2008. الجزء الأول من سلسلة الدراسات

السردية بعنوان السرديات والسرد الليبي ويتكون من الكتب الثلاثة التالية: الكتاب النظري للسرديات، السرديات والرواية الليبية، السرديات والقصة الليبية القصيرة. تحصل على العديد من الجوائز والمشاركات الأدبية، أهمها: جائزة الشارقة سنة 2006.م في مجال النقد بمخطوط كتاب آفاق جديدة في الرواية العربية. جائزة ناجي نعمان بلبنان سنة 2007.م عن مخطوط كتاب: استراتيجيات الفعل في الخطاب الروائي. جائزة الهيئة العامة للثقافة في ليبيا سنة 2010. جائزة الدولة التشجيعية بليبيا 2010.

https://tieob.com/archives/author/abdolhakimmalki

الصورة للناقد الليبي عبد الله المالكي